

قسطان
مطاركة

ماجد الدجاني
"قصائد مطاردة"
(شعر)
الطبعة الأولى (2012)
جميع الحقوق محفوظة
*

صدر عن
دار الجندي للنشر والتوزيع
القدس



00972542263454

info@aljundi.biz

www.aljundi.biz

*

التصميم والإخراج الفني



*

لوحة الغلاف : الفنان أيمن المالكى

*

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، بدون إذن خطي من الناشر.

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopy, recording, or any information storage and retrieval system, without the permission in writing from the publisher.

شعر
للشعر

مجلد الكافي

قصائد مطبوعة

لست ممن يؤمنون بمقدمات تفرؤية للكتب

فالقصاصد تحديدًا تقدم نفسها

وكما قيل في النقد:

بين القصيدة والشاعر مساحة يملؤها القارئ أنى شاء،

وهذه القصاصد تطارد وتطارد في الوقت ذاته،

وأمرجوان تبقى مطاردة لكل أعداء الحياة.

ماجد الدجاني

مع خالص الشكر

أنا بالشعر أرسم واقعاً مرّاً
ولست أفرّ من قدرٍ
لألقى غيره قدرا
ولست أزركش الكلمات
حتى ألفت النظرا
أريكم حلقة الديجور
حتى ترقبوا السحرا

ولا ألقى لكم عذرا
إذا داسوا كرامتكم
وقد عاقرتم الخمر
على حقلٍ من الألغام
يمضي الشعر بالشُّعرا
يمشي الشاعر الثوري
فوق الصخر والأشواك
يمضي قابضاً جمرا
حروفي من مَعين الصدق أغرفها
ولست أزيّف الإحساس
والأشعار والفكرا
ولست أذرّ في العين الرماد ولا
سقيتك قارئ كدرا
وعن درب الوفاء لأمتي للقدس
لست أحيّد أقسم

قيد أنملة

ولست أحيّد عنك مبادئي شبرا

ولست أخطّ شعر الحبّ إغواءً

لقلب الحلوة الشقراء والسمرا

ولكنني بأشعاري

أنير الروح والوجدان والعمرا

لتغدو أحرفي في الليل نجماتٍ

وكل قصيدة بدرا

سأمضي فوق رأسي تاج شوك الشعر مصلوباً

ومن شفتيّ خلّ سال فوق الصدر

في رسغيّ مسماران

أمضي أقحم الخطرا

وأقطع درب آلامي على خشب البيان

لكي أرى يوماً ثراك عروبتني حرّاً

يهوذا الشعر أعرفه ولا ألقى له بالاً

وتلميذي إذا في الفجر أنكرني
سأمضي شامخاً أبداً
أسير بدرب جلعلتي
ولست أضيق ذرعاً بالنضال أنا
لأشفي للألى الصدر
سأبقى في سمائك موطني مزناً
وتُسكَب فوقك المطرا
وأجري في دروبك موطني نهرا
تعانق ضفتاه الطير والزهرا
ومهما طال ليل القهر
مهما خائنٌ غدرا
ظلام الليل رحم ينجب الفجرا
طال الحمل أم قصرا
يرى الحمقى كلام قصائدي إبرا
ولكني بوخز الشعر يبصر قارئ الخطرا

أزِيل غشاوة العينين
أحيي السمع والبصرا
ويهتف كل سطرٍ: يا بني قومي
خذوا الحذرا

بيان

لست برسم البيع في أسواقكم
لست برسم البيع
لا أطلب العماد في مياهكم
تراحم المثقفون في الطابور
كان يشبه الماخور،
ولم يعد يهمهم في الأمر غير الدفع،
وكلهم؛

ترقب..

تخوف..

توجس..

تذلل..

تململ..

هل يرجعون بالذي سيملاً الجيوب أم بالمنع؟

ترنّموا في أمسيات الشعر بالصمود والبنود

عانقت غبار نقع،

وعندما تسلطن الكؤوس بالرؤوس ينشئون قوة للردع،

وحينما يجدّ جدّهم

يدعون في خماره لرأب الصدع.

ترتفع الأسعار في الأسواق

تنحس بالجوع والاختناق

يحف بيدر.. يحف ضرع،

ويرخص الإنسان

يستلذ بالهوان

نخاسة جديدة تظهر في الميدان؛

فكاتب ملجم،

وشاعر مكّم،

وشاعر مأجور

لكنتني لست من الجمهور

فالشعر ينقل الشاعر للسماء كالطيور،

والشعر أصل كل ما في الكون من حقائق،

وما سواه فرع.

معذرة.. معزوفة النقود لا تهزني،

ولا يهمني الحساب.. لا أجيد هز الذيل كالكلاب،

ولا أجيد النبح.. لا أجيد الطرح.. لا أحب الجمع

لست برسم البيع

يجوع طفلي الصغير ليلتين

لا يهتم

تجوع طفلي .. يصيبها الهزال .. ضعف الدم،

وربما أكون خارجاً عن القانون في أعرافكم،

وربما ستصدرون ضد نبرتي،

والشعر حكم الرّجم،

وربما تفتنون أنني بالشعر أعتدي

على حدود الشرع،

وربما يسيل في عيني بعض الدمع

لكنتي لست برسم البيع.

ولدت شاعراً يلقي تحية الصباح للورود

يوزع الندى على الأزهار في السحر،

وحينما تحنّ للندى حدود الزرع

لست برسم البيع،
ولن أكون مرة بضاعة
فوق رفوف هذه الدكاكين التي تعجها دروبنا،
ولا تهمني ثقافة الطحالب
تخفني الروائح التي تطلقها المكاتب
أرفض أن أصير في شجاعة الأرناب
تصيني بالغثيان والدوار تلکم المسارح الثعالب
يصيني شعر البلاط بالإحباط
تقتلني القصائد المآرب،
وتلکم المكاتب التي تحفل بالمخالب
أحس بالنشاز في ألمانکم ولا أطق السمع
لست برسم البيع.

أحبّتي أنا لا أعشق المجون،

ولست ممن يدفعون قرّة العيون،
ولست بالمكاتب التي تناسلت كما الأميا
في دربنا مفتون،
ولست ممن يرفعون يخفضون أو يقيّمون
لكنني أقولها ملء فمي:
لست كالذين بال "ريموت"
عن بعد يحركون،
ولست كما حجارة الشطرنج والدمى،
ولست ممن يطمعون أن يخلدوا
في متاحف للشمع،
فلعبة البكرات أظهرت حبالها
يخفض الحبل يا إخوتي بدلوه
إذا ابتدأ الآخر فعل الرفع.

لا بأس، فلتكن كل المجلات هنا باسمكم،

والصحف الغراء باسمكم،
وذمة القراء باسمكم،
وجوقة الشعراء باسمكم،
ومعجم البيان باسمكم،
ومعجم الألقاب والأسماء باسمكم،
وتحرمون كل ما أكتب حق النشر
حق الطبع
لكنتي لست برسم البيع.

ولدت شاعرًا يمجد الحياة
يقول ملء الفم والضمير
لتبسم الشفاه وترفع الجباه
قصائدي تحملها الرياح للقلوب في الشروق والغروب
مثل غبار الطلع،

وقامتي لا تنحني سوى لله عند الركع
فلست ممن يتقنون في ديوان صاحب النفوذ
طاعة وسمع
روحي كسرِ القدس كبرياؤها،
ومهجتي نقاؤها
كما المساء بعد أن تهاجر الغيوم
أفرغت شتاؤها،
وفي الفؤاد صفو نبع
لست برسم البيع،
ولا يهزني الإغراء، والإغواء، والإيذاء
ساعاتكم ثمينة وضد الماء
لكن روعي العصماء ضد القمع،
وقد تلوكني أنيابكم، لكنني
والله صعب البلع،
وفي زماننا الكريه استنسر البغاث

غرّد الغراب .. حاول الزئير الضبع

لكنها انعطافة مؤقتة،

وكبوة مؤقتة

البحر يقذف الأوساخ للشطوط،

والنهر يقذف الزبد،

ويطهر البلد،

ولن يظل غائبًا عن العرين السبع

لست برسم البيع!

فلسطين

لأن فلسطين أم الحضارات

مرضعة المدنية

مهد الديانات

ملهى صبا الأغنيات.

لأن أريحا جذور الزمان،

وأصل المكان.

لأن الجدود يطلون من كل ركن علينا،

ويرنون دوماً إلينا
لننقش نقشاً جديداً
على حائط المجد
نرسم عبر الدروب جدارية
من فعال حميدة،
ونهدي السماء نجوماً جديدة.
لأنّا بني يعرب
لا تلين لنا في العطاء قناة،
ولا يصدأ السيف في كفّنا
لأن دماء الشهيد على درب دولتنا
خضّب الأرض بالأرجوان
لكي يرسم الصفحة المقبلة.
لأن التقاعس مهما يبرر لن نقبله
سنمضي بدفق العزائم
نمضي نراغم

نمضي نراحم.. لا تتقاعس
لسنا نرى في اقتحام الوغى
والعباب لأجل بلوغ السواحل
من مشكلة.

مضينا، وها نحن نمضي،
وفي الغد تنهي مراحل درب النضال
حتى تسد كوى البغي
كي تفتح الباب للمرحلة
لنحضن أفراحنا المقبلة
مخرنا العباب.. اقتحمنا الصعاب
مضت في الدروب عتاق الخيول
مضت عيسنا رغم صوت نباح الكلاب،
وكان أنين الثكالى وآه اليتامى

حُداء المسير وأرجوزة القافلة
ستبقى فلسطين بوابة للسماء،
ونبع الرواء،
وأرض الفداء،
ويبسم فل
سيضحك في الروض ورد،
وتشمخ في البيدر السنبلة،
وتمضي جموع التلاميذ نحو المدارس
تحمل أقلامها والدفاتر والمنقلة،
ويحمل فلاحنا الصلب
في فرحة منجله،
ويعلو دخان المصانع
تخضر كل المزارع،
ونبقى عن الحلم دومًا ندافع
حتى يجر جر جيش الظلام

بذل ذيوله،
وتشرق شمس التحرر
تكسر قيد الضباب
تعانق أرض البطولة
نحقق كل الأماني النبيلة
أبى من أبى .. شاء من شاء.

يا إخوتي..
إنها رحلة الألف ميل،
ولا أعرف المستحيل،
ومليون عامًا من القهر
مليون عامًا من البغي والريح
ليست تهز التفاؤل فينا
هيهات تجث جذر الصمود

أعاصيرهم
أنا شوكة الحلق والمعضلة،
وإيماننا كل ما أبدعوا من فنون الإبادة
لن تقتله
ستمضي السنون العجاف،
وتقبل غيماتنا الوادقات،
وتنهل ديماتنا الهاطلة،
ومركبنا رغم عنف العباب
سيبلغ مهما طغى الموج
في عزة ساحلة
ألسنا الأباة الكماة،
وشمُّ العرانيين والأمة الباسلة،
ومن قدّموا في النضال
لكل دعاة التحرر
للثائرين النماذج والأمثلة

فقيم تركنا التنازع يفشلنا
يذهب الريح منا،
ويحدث في فكرنا البلبلة،
وحتّام تبقى تضل خطانا
تعثرها الفتنة الجاهلة
فماذا نقول لأم الشهيد،
وأخت الشهيد،
وبنت الشهيد،
وكل تواريخنا المذهلة
إذا ما أطلت لتسأل: ما هذه المهزلة؟
أعدّوا الكنانة
نرمي "أخيل" بها
نصيب معاً كاحله
نرد إلى نحره كيده،
ويبقى الحداء الجميل،

وتمضي على دربها القافلة،
وتعشب أيامنا القاحلة
فلا قدست أمة تتصارع من أجل لا شيء
من أجل شروى نكير
وآذانها لم تعد تستسيغ النفير،
ودبابة الاحتلال تدوس جبين الثرى،
وتذل الجباه،
وتقتل.. تسرق.. تقتلع اللوز والبرتقال،
وتنهب زيتوننا والكروم
تهب كعاصفة كالسموم
كريح محملة بالعذاب الشديد
على الحقل والسهل،
والروض تكسر أغصانه
ثم تصبح إزهاره ذابلة.
فيا إخوتي

باطل كل ما ندعي في الإذاعات والتلفزات
محض فحيح،

وكل البيانات في دربنا قبض ريح،
ورحم محاراتنا سوف يحوي رمالاً
إذا لم نكن مثلما السّرو والزيزفون
تصد أعاصير دعواهم الباطلة.
أما نستحي أن نحدق في الوهم

نجري وراء السراب،
ونترك في غفلة للذئاب
مهمة رعي الخراف،

ونسبح للخصم
أن يستبيح الحمى
والدما بالرصاص
وبالطائرات السّما،

ويزرع في الروح أمراضه القاتلة،

ونلهث عدوًا وراء فتات
موائد مؤتمرات كخلب غيم،
وننسى قضيتنا العادلة،
ونصلب طوعًا إراداتنا،
ونفود خطى بعضنا البعض للجلجلة.
فيا مقلة العين.. يا نبض قلبي.. خذوا حذرکم
إن بقينا كما نحن بين الدهاليز
في هامش الدهر
فارتقبوا الخسف،
والمسخ،
والزلزلة،
وموتًا بطيئًا ستحملة حالكات الليالي،
وتنصب للأمل العذب أيامها مقصلة،
وتهجرنا الغيمة الهاطلة
إذا ما بقينا نبرر أحلام يقظاتنا

نكرر سقطاتنا وهزائنا الباسلة،
ونفتح من أجل غسل العقول فضائية
تردها من أنين المصابين أعلى،
ومن آه كل اليتامى،
وكل الجراحات أعلى
لتبقى الوزارات
تبقى صراعاتنا المخجلة.
سنبقى بقلب الشرائق دودًا،
ولن نستحيل فراشاً بهياً
إذا ما استمرّت
على أرضنا هذه المهزلة.
سنبقى كما نحن أسرى التراشق بالاتهامات،
ولن نتحرك نحو أمانينا أنملة،
ونهبط في كل مرحلة منزلة.
طغى السيل

بلغ الزّبي

فلا تسقطوا راية المجد من كفكم

يا شباب فلسطين

أنتم فسائل موسمنا الخصب

غذّوا خطاكم على الدرب

أنتم نوارس شطآننا الحافلة.

قبل ابتداء الصلِيل

(إلى عبد القادر العزة وقد أبدع لأدم أما)

كليني لهمّ تثاقل حتى احتواني،

وليل بطيء الكواكب.

كليني لدمع سخين

فبعد انتظاري لـ (جودو)

لطير الرعود

تبيست الصُّلب مني وعظم الترائب،

وأيقنت هذا مخاض عقيم،

وحملك كاذب.

جهام السحاب يغطي سمائي

فهذا زمان ارتحاء المفاصل

هذا زمان الثأؤب

على طول دربي فحيح الأفاعي

عواء الذئاب

صفوف العقارب

كأن الليوث استحالت أرانب

كأن المبادئ صارت لحى أو شوارب

عجائب تتلو عجائب

غرائب تتلو غرائب

كأن رفاق السلاح تماثيل في متحف

للضيوف الأجانب

فكيف نواسي الأرامل؟ كيف نجفف دمع الشكالى؟

وهذي الجموع الكسالى

تنام على حلمها الأرجواني.. تصحو

فتدعو الإله تعالى

لتنزاح عنا الضرائب،

وتغدو صروحًا لجميع الخرائب،

وتحلم بالمهرجان الكبير،

وبالليل..

لكنها لم تنزل في الزرائب،

ونسلم جعجعة دون طحن،

ولا تلد النوق رغم امتداد المخاض دهورًا

سوى بقعة من دم

ثم تخنقنا الرائحة،

ونسرق حلم الطفولة

نسرق خبز اليتامى،

وعطر الخزامى،

ونقطع أوصال زيتونة

نبت البسات البريئة
نسرق صرخات معتقل،
ونبيع الذي قد جمعنا،
ونزعمها صفقة رابحة.
بماذا أجيب جموع الصغار،
وخنساء هذا الزمان
إذا ولولت نائحة؟
بماذا ستنكأ تلك الجراحات؟
كيف نبرر سحق الحجارة
كي نستحيل "نشوقاً" .. "سعوياً"،
وأيقونة تبطل العقم؟
وكيف نجيب جموع السنين الخوالي
إذا وقفت ذات يوم على باب حارة
إذا ما رأّت في تواريننا كل هذي القذارة؟
وحين ستسأل فيم كسرنا الرماح العوالي

وفيم الرجا خاب فينا،
وكيف رمينا الكنانة قبل ابتداء الصهيل،
وقبل امتطاء الخيول،
وقبل سماع الصليل؟
وكيف رمينا النبلا
ولما نحارب؟
تبادلني نجمة الصبح نظرة صمت
أحس التقزز في وجنتيها وتنفر مني،
وتستخسر الشمس في التحية.
سلام على الحرم المقدسي وباب الخليل
على ساحة المهد تسقط وسط الزحام،
ويتسع اللحد،
والحدّ قد صار ينبو كسيف كهام.
فقدنا الزمام
سلام.. سلام.. سلام.. سلام

فمن سيعلق ميدالية الانتكاس؟
ومن سيزين أثوابه بالوسام؟
سلام على الخيل،
والبيد،
وابن الوليد
على الليل،
والويل،
والسيل فيه تغوص الصدور،
ونرقب عهد الوثام.
طغى السيل.. لا تعيروا
فالمخاضة أعمق ممّا تظنون
حتى الدليل يغير وجهته ويحك الدسائس.
سلام على الغيد شم العرائن،
واللاهثين وراء أصابع من يرقصون العرائس.
سلام على الراحلين بدمع سخين وذلّ الجبين

على الساهرين بخمارة الليل
أعينهم قمر يكمل اليوم دورته حول نهد وردف،
وقد تلوى على الأرض مائس.
سلام على الراصدين شوال الطحين،
ولتراً من "المرجرين"
و"كرت" الشؤون.
سلام على الراكعين
على الرافضين
على القابضين
على القائمين
على القاعدين
على الصائمين
بحرّ الهواجر من بعد يوم طويل على خردل يفطرون
فهذا زمان المصائب.

بكى صاحبي يا امرؤ القيس مثلك
والدرب كان طويلا،
وليل كما الموج يرخي علينا السدولا
فقلنا كما قلت: إنا نحاول ملكًا
نحاول أن نستعيد هوى البید
إما حياة تسر الصديق وإما ممات يغيظ العدو فنعذر.
أتى يكون لنا الغدر يومًا إذا ما سقطنا بمستنقع آسن،
وكيف نعذر من إخوة البارحة؟
لقد فاحت الرائحة،
وقلنا نموت فنعذر، لكننا يا امرؤ القيس
نحيا ونقههر.. نبتز.. نشطر
يُسقطنا من حساباته الدهر
تهوي بنا الريح
إن الدكاكين تسرقنا كل يوم،
وكل التقاويم تشطب أسماءنا من سجلاتها،

والبغاث تداعت علينا
تداعت طيور الفضا الجارحة،
ونسقط من عربات الزمان،
ونفشل في أول الامتحان،
ونكبو..

وليست تقوم لنا قائمة،
وتحملنا الريح أنى تشاء،
وتجرفنا اللجة العارمة،
وأسماؤنا تهرب اليوم منا
ولا تستفيق كرامتنا النائمة،
وتنزع فروة رأس بإحدى الزوايا
نقدم غصنا،
ويخلع ظفر.. نقدم غصنا،
وتسحق دبابة طفلة،
وفرش عليها الورود،

ونشدو: غداً سنعود!

وما عاد عمرو بن كلثوم يزعم

أن الجبابر تسجد لابن العروبة عند الفطام

غدونا قطيناً،

وعمرو بن هند يطيع الوشاة بنا

يزدرينا

فلا تصرخ امرأة: يا لتغلب!

لا تستجير النساء،

ولسنا نجير إذا ما دعينا،

وما عدت تشرب ماءك صفواً

إذا ما وردت أيا أيها العربي الأبي،

وما عدت تسقي أعاديك طينا

غدوت تسف التراب،

وتسكب دمعاً سخينا.

هباءً غدونا

سدى ضاع دمع الثكالى،
وآه الأرامل،
وازداد حجم الدمامل.
قمنا نجامل.. لسنا نحاول
هيّنة في موازيننا عاصيات المسائل.
طلعنا عليهم طلوع الخراف
فكانوا ذئابًا وكانوا مِدى
وصرنا صدى،
وقمنا نولول.. نصرخ بالأنبياء: اعذرونا!
نضاجع أحزاننا.. نستلذّ،
وننجب في كل مرحلة لاجئنا
فماذا بقداس زيتونة سنرتل؟
ماذا بجناز ليمونة سوف نكرز؟
ماذا...؟
أضعنا السيوف

حملنا الدفوف

نسينا.. نسينا.. نسينا.

سأصرخ في الطفل في كل زاوية في المخيم:

لا تعذرونا،

ومن كل تاريخكم أسقطونا

سنخجل من دم أمّ أمام شباك السجون،

ومن كل غيم هتون،

ومن دمع أرملة في المخيم

من دمع طفل يودّع بيتاً تهدم

أحس أصابع تلك الشباك

تحاصر عنق المخيم.. أطول من بعض سادتنا قامة.

فماذا سنترك للقادمين؟

بماذا نبرر للمبعدين؟

وماذا سنخبر عيسى ابن مريم؟ ماذا؟

إذا قام ينزع عنه القيود

ويكسر خشب الصليب؟

وماذا سنخبر طه الرسول إذا جاء يعلو البراق

يداعب طفلاً تيتيم؟

سنخجل من كل ترسٍ،

ومن شفرات السيوف،

ومن كل زحف تقدّم.

تصف قصائدنا كالطواير "قدّام"

تلك الدكاكين

تحذى وتلجم.

يمر المناضل..

يخزني أن أقول أمام الدكاكين:

"يُوسم".

دخلنا دهاليز أفكارنا المظلمة

دخلنا مراحلنا المؤلمة

فكيف ندون كل حكايا الصمود ولا من دواة،

ولا من ثقاب،
وما في الظلام المهيمن عود؟
فكيف نودع حصن الصمود،
وكل نشيد؟
وكيف نكفكف دمع المواويل؟ كيف نواسي؟
وكيف نروض تلك العتابا الجموح؟
وكيف نواري رفات النضالات من بعد عمر مديد؟
وكيف سنعزف لحن الرجوع الأخير
لذاك الشهيد؟
وكيف نّزور حلم الجدود لذاك الحفيد؟
وكيف أمام التحدي نقيم السدود؟
سننشر أوساخنا فوق جبل الغسيل،
ونبكي على دارسات الطلول
نحاول أن نفهم الأمر
أن نستطيب، ولو لحظة، ذلك المرّ

أن نشرب البحر
أن نرخي الحبل من حول دائرة النحر
لكنه يكسر الحنجرة.
أحاول أن استسيغ الحروف فأكفر بالسطر والمسطرة،
وبالفكر.. بالحر، والمحبرة.
أحاول..

يزداد موتى وضوحًا
فكيف سأوقف شمس أريحا
لتكمل مذبحتي قبل وقت المغيب؟
وكيف سأبتاع خشب الصليب؟
وكيف سأبتاع مسمار نعشي،
وألقي الرماد بعيني،
وأغلق جفني،
وانتف رمشي؟
وكيف أكون أنا الميت والمرتقي النعش؟

والحلم قربي مسجّي،
وأمشي!

أبارك كفّ الذي اغتالني واستراح،
وقايض حلمي،
وكل السنابل والقبرّات،
ودم المقاتل والأغنيات
بحفنة قش!
تفاجئني عتمة الليل
أسمع بعض القبور
أوقف حطين
يصرخ بي:
إن ناشئة الليل أقسى على الروح وطناً.
تفاجئني عتمة الليل

أسمع بعض القبور
قصيدة حزن لأشفي الغليلا
هو الليل أقوم قيلا.
تحرك شاهد قبر، وألقى عليّ التحية
تحرك من قبره القبر.. مدّ يديه،
وأخرج شيئاً من القلب
باركني الليل، كانت تقول القبور
ستعطي المعاصر في موسم قادم دفقة دم
فزيتوننا ذل في آخر الأمر
أغصانه أصبحت في المسيرات تحت القدم.
وتكبر دائرة الموت.. تكبر دائرة الصمت
لا الورد يعطي العبير،
ولا الطير في الحقل عادت تجر الذيولا،
وكل الذبالات زادت شحوباً
تلفت حولي

لمحْتُ أريحا تواسي النخيل،
وليمونة في فناء المقابر قامت تنادي الخليل.
رأيت القرنطل يرسل برقية
ليس بالخبز يحيا ابن آدم.
أبصرت عنق النخيل اشرأبت
وقامته في المخاض الحقيقي تزداد طولاً.
ونهر الشريعة قام يعمّد بعض الحجارة
يحمل للتائهين البشارة
سمعت حصاه يرّدّد:
لا تفقدوا في الصحارى الدليل.

للخالص مضائوه

واحدًا واحدًا تسقط الأفئعة
هبة.. هبة تبدأ الزوبعة
ناقع السم مختلط بالشراب الشهي لكي أجرعه
وأنا لا أدير
أيسر الخد للعدو كي يصفعه
أستمح المسيح
معذرة

أطلب العفو من خالق الكون والمغفرة
فأنا لا أسير

فوق أعمدة الصلب للجلجلة
ولستم كما شئتم الباز.. لست أنا القبرّة
أتقن الاحتمال العسير

في الزمان الأخير
امسك الخصم كي أصرعه
بين حلمي وموتي وورد الأصيل طريق قصير
ولا بد أن اقطعه
طال ليل الخيانات.. طالت كوابيسه المفزعة.

هي الأرض أُمّي التي أَرْضَعْتَنِي التحدي
شربت الأفويق من نهدها
عز من يرضعون

هو المجد للمرضعة.

وقالت لنا في احتفال الفطام المهيّب:

"أنتركهم يغصبون العروبة؟"

قلنا: محال

حفظنا الوصية عن ظهر قلب.

تحدّوا ولا تحفلوا بالجراحات

لا ترهبوا خصمكم.. أرقوا مضجعه.

ويحضرني الحلم

يحملني بين كفيه

ينقلني عبر أسوار تاريخنا العسجدي الطويل

يدور مع الأرض بي حول كل المدارات

استسلم اليوم للحلم

لا أستطيع التخلي عن الحلم

لا أقدر الآن أن أمنعه.

ويحضرني الحلم: قالوا جنين الحقيقة.

يحضرني الشعر، قالوا: ظلال الهواجر.

تفيئت دومًا ظلال القوافي

تدثرت بالحلم ذات ارتعاش

تزملت بالقدس ذات حراء،

وأدخلني الشعر والحلم في لحظة الالتحام الإلهي

صرنا معًا كالصلاة.. التراتيل، والشيخ والصومعة.

ويحضرني الحلم يحملني تحت جناح الظلام،

ويعبر كل الحواجز

يدخل في دورة الأرض والعشق

في دورة الأكسجين بصدري

نصير فصول الهوى الأربعة

نصير جهات المدى الأربعة،

وأعمدة الانتماء

أساس البناء.. السعة.

وأغفو على صدر حلمي

وتمسح يافا جبيني
يقبلني شطها في دعة.

وأفتح كل النوافذ للشمس
أفتح كل كوى القلب للحب
قد يدخل الحقد من بين إحدى النوافذ
يحمل أسبابه المقنعة.
"وأمل لي لهم إن كيدي متين"
وتبقى شبائيك قلبي
برغم الجراحات نحو الهوى مشرعة،
وتبقى خيول التحدي الضوامر
في عدوها مسرعة،
وتبقى لنا الضربة الموجهة.
ويحملني مركب الحلم عبر البحار العتية

لكن مجدافه ليس يأبه بالموج،
والريح لا تسقط السارية،
ولا تسقط الأشرعة.

هو الحلم معراجنا للسماء البهية
للموطن العذب يدفعنا الشوق أن نبذعه،
وتسقط أقنعة الزيف في لحظات السموق تبعاً،
وتنطلق الزوبعة،
وتسقط أوراقنا الصففر
تكسر هش الغصون،
وتغسل أشجارنا من بقايا الزنيمة
تتعري لغيم التآلق.. تغسلها
فالربيع على بعد بعض الخطى
يرتدي الغصن حلته اليانعة،

ويحملني الفجر في قاطرات الضياء،

وفي حافلات السنا

إلى هضبات السما السابعة،

ونعلن ما بيننا إمعة،

وإن كان فينا فإنّا عليه

ولسنا معه،

ويبقى لنا الحلم قوتنا الرادعة!

علاء الأطلال

قفانبك.. هذا زمان البكاء

فلا عاصم اليوم من طوفان الخيانات

لا النار كانت سلامًا وبردًا،

ولا نلت حتى فتات الموائد.

هاكم دمائي اشربوها

اقرعوا الكأس نخب القصائد.

كنعان تطرده البید،

والجمر يلفظ أنفاسه في المواقد
فلا تبك "إيزيس" ليس البكاء دواء النساء،
ولكنه كحل عين الرجولة
حين تحذر فيها السواعد.
تسللت في غسق الليل
حطمت أصنام "آزر"
لا النار كانت سلامًا وبردًا،
ولا الشوك أنجب في آخر الأمر وردًا،
ولكن حاضرة البحر نادت عرائسها
مسختني، فأصبحت قردًا.

فيا إخوة الجرح هاكم دمي
سال من أجلكم فاشربوه
على كل بيت من الشعر قطرة دم

كلوا كسرة من ضلوعي،
وهاكم عظامي بقايا الجسد
أطفئوا ليلة الاحتفال بعيد المسافر كل الشموع
فلا شك آتٍ سطوعي،
وبسمة طفل ستولد رغم الدموع.
كلوا جسدي، واشربوا من دمائي
أبارككم بالقصائد بالدم
كأسي وخبز الجسد،
ولكنني لا أبيع البلد،
ولا أغنيات اللثام،
ولا حجر الانتفاضة
لست أبيع نضال الولد.
دعوني أكفر عنكم خطايا بغير عدد
سأرجف تحت سماء التساقط
تحت شتاء التذلل

لكنني رغم مر المعاناة لن أستغيث بأي أحد،
ولن تسمعوا دثروني
سأرجف حتى أصير لهيباً
هو الحلم دفء الشعوب إذا ما اتقد،
ولن تهزم الريح شعباً إذا ما اتحد
سأقبع في ظلمة الجبّ وحدي
لتبقى كما كنت يا وطن الحزن
في القلب فرداً صمد،
ولكنني ذات حلم سآتي
كما فوّهات البراكين أمضي،
ولن تطفئوا حممي بالبرد
أعوّذكم بالنضال الحقيقي
من رجس حرب الخطابات
حرب الشعارات
من شرّ خناس عصر الرمد

أطهركم من أعالي صليبي
من الرجس والانتكاس
وذللّ النعاس،
وأقسم: ما خنت عهد البلد.
سأقبع في ظلمة الحب وحدي
سأرقب سيارة الفجر لا بد آتية
لا ظلام الزنازين باق،
ولا سيف فرعون باق،
ولا ظلم نيرون باق
سأعلو بناري سحابًا من البؤس يمطر
يغسل عنكم غبار التردّي
يعمدكم بالتحدي
بشوك وورد
فإن لم أصبكم بوابل بعث فطل،
ولكنكم آخر الأمر

تقتلعون من الروح شوك الملل،
وتكتشفون الخلل.

قفانبك..

هذا زمان البكاء الذي يمتطي صهوة الحب
أسمع من أفق عصّبوا الآن عينيه
صوت الصهيل، وصوت الصليل،
وأسمع أنشودة من حواكير غزة
أنشودة من حواكير سلوان
تشدوا شوارع قدسي العتيقة
تهمس دالية في الخليل لزيتونة في الجليل
يكون لقاء على ساحة الفجر ذات انتصار،
ويأتي النهار يشدّ الصغار حبال الود
فليست تقوم الخيام بغير عمد.

قفانبك من فرح جدّ جد
فلا تسكنوا في العيون الرمد،
ولا تسقطوا الرعد من سلة الغيم
لا تذبلوا الحلم في جفن طفل على مقعد الدرس
لا تسقطوا علبة اللون والدفترا لأرجواني من يده
لا تشلّوا ذراع الولد.
سأمشي على الشوك رغم الطريق الطويل،
ورغم الكبد
ولكنني ليس يوقف زحفي أحد
إلى أن تفيق البلد
ومن خالق الكائنات يكون المدد،
وليس يصير النضال الحقيقي يوماً زبد
ليس يصير النضال الحقيقي يوماً زبد،
ولن تطفئ الرياح جمرًا إذا ما اتقد
فقد جدّ جد.

الحنف يزيكنا عنفوا|نا

في النّسغ أنسجتي، وفي رثتي جذور اللوز
ترتحل الحساسين الصغيرة في مواسم عشقها لمفاصلي،
وتحط في رثتي تخربش في جبيني،
وتحيي تبحت عن سهول تعشق الأمطار
ينطلق الكلام من اللجام،
وتطير من شفتي أسراب الحمام
يصير الحرف ملء فمي،

يصير الوعي ديمة حقلنا،
وتصير أشعاري مدافع،
والحروف تدك أركان السجون
تحيل معتقل الكلام إلى ركام،
وتقول للأحزان أزمنة وحزنك
قام يحتكر الزمان

يشد ناصية الجنون
يقول: يبقى كرملي والمرج
رغم الغدر والزمن البذيء
(فلسطيني)،

وأقول يا أم انتهينا من سنين المحل
من سبع عجاف تبت من غبن السنين،
وشفيت من نوم على الآمال من ذل السؤال
من الزمان المر والعمر الحزين.
الآن صار الحزن إعصارًا

غدا بلهواة حزني لهجة الريح العنيدة
ما الذي أحكيه يا وطني بذكرى نكبتني والحزن؟
صرت بقوة البركان والزلازل
صرت أفجر الإصرار من حزني على قمم الجبال
اليوم صار الحب مهمازي.. أنا الخيال
أحمل صخري.. يافا تغنيني: أناديكم
تردها دروب القدس آه، كأنها صرنا
تلاوين الضياء سنا بخارطة الغد المملوء إشراقاً
فنامي، واخلدي يا أمّ ما زلنا بأحسن حال
(ملأنا البحر حتى ضاق)
كم قالوا لنا رجساً
كسرنا اللات والعزى،
وطهرنا ربى الأفعال والأقوال،
وعاد صدى التلاحم بين صوت الناي والموال،
وصرنا نملاً الأشعار بالإصرار

صار رجالنا في الطهر أطفالاً
وصار لرنّة الأطفال صوت رجال
أضاع الصوت من كلمي؟ معاذ الله ...
ما زلنا نميز بين غبن الغيظ والإيمان والألم،
ونمسح من دفاترنا صروف اليأس والسأم.
لحزني اليوم دقات النواقيس البعيدة
للأسى لغة تترجمها أحاسيسي
إذا ما قمت أنفخ في دم الصلصال
أبذر حبة الإخصاب في العقم
أبث الروح في الموتى
تصير الشمس ملء دمي،
وصوت الحقّ ملء فمي،
وقالوا يصدأ المزلاج
قالوا يختفي المفتاح
قالوا كل ما يقصى عن المشوار

لكنني تبعت الفارس الخيال
ظلت دمعة الأطفال مهمازي،
وضوء الشمس لي موال
صار الحق فعالاً،
وظل البدء للأفعال،
وشمس الغد للأطفال.
مواويلي كما كانت
تمجد منجل الفلاح.. تشيد بساعد العمال.
قناديلي كما كانت
تبدد ظلمة تسطو على الأجيال،
وقلبي نابض ما زال
مع الإنسان في أقصى جهات الأرض
حيث يشع فجر يكسر الأغلال
فقلبي ديمة تهمني
على عيال، والأوراس

في اليمن المفجر ثورة استقلال
بعمق القارة العذراء
حيث الطفل في الأسماح.
نظل نحب كل الناس يا وطني،
ولكن الهوى المجروح يصبح
توأم الزلزال
يصير بقوة الرئبال!

قال جلال

يصدأ السيف بغمد	امتشق سيف التحدي
كاشفاً ساعد جد	وأمش فوق الشوك صلباً
أرضنا ألوان ورد	وأزرع البيداء وأملاً
نتحدى كل كيد	لا تخف كيد الأعداي
قم وحطم كل قيد	لا تخف سجنًا وقيداً
لا تسر نحو التردى	قدر أن تتصدى
في فمي يغدو كشهد	علقم من أجل أرضي

قل لهم: ذوقوا هيبتي	ولظي برقي ورعدي
وابن للعلم صروحاً	شامخات خير ردّ
يا ابن هذي الأرض سطرّ	باسمها صفحات مجدٍ
يا حفيد الشم أكمل	درب ببرس وسعدٍ
فتحوا القدس رجالاً	وعلى صهوات جردٍ
أنت يا طفل بلادي	خير سيف.. خير حدّ
ستقد الليل يوماً	وبه تودي للحدِ
دثر الأوطان.. زمّل	أرضنا من لسع بردٍ
جاءنا الغازي حقوداً	نافثاً نافع حقْدٍ
وبطلقات الـ "أباتشي"	وبـ "مركافا" وجندٍ
باذلاً من أجل إذلالِك	دومّا كل جهدٍ
معه "بوش" ظهير	ودواهي "رامسفلد"
فتحدي يا ابن أمي	كيد شذاذ وليدٍ
وأملأ الجو نسوراً	والثرى أصوات أسدٍ

قل لأمریکا: رويدًا	لست في الساحات ندّي
مکرم بات جليًا	کل ما تخفي وتبدي
لست في الدرب وحيدًا	لست في الساحات وحدي
وإذا مت شهيدًا	فمصري دار خلد
أمة خلفي ستأتي	دورها آتٍ بوعد
من إله وكتاب	للتّي أقوم يهدي
وطن الصيد ينادي	من بينه كل فرد
راية التحرير تعلو	بفتى كالصخر صلد
وبفكر وبوعي	عانقا طاقات زلد
وبشيب وكهول	وبشابات ومرد
فاستجبوا لنداه	وندا أقصى ومهد
سر حثيثًا للمعالي	قال عند الموت جدي
نهر أمجاد بلادي	كن له أمواه رفد
أكمل المشوار حتى	تبلغ العلياء بعدي

فجنود العلم جند يا حفيدي أي جند
بمــــــــــــداد ودواة نهزم الجهل وكدّ
إن داء الجهل يودي بالملايين ويُردي
سيلُهم مهماتُما تُمادى اليوم لن يهزم سدّي
فانهضوا أشبال شعبي فالتمني ليس يجدي
غدنا أنتم وفجر باسمٌ في خير حدّ
إيه دور العلم هيا أفق الفجر أعدي
أنت بالوعي ستروين الذي خصمك يصدي
لدروب الحق أمضي في يدي مفتاح جدي

الدُّمُوعُ

أنا بالفم المملوء أعلن للورى
أمطارهم ما أخذت نيرانى
لم تحب جمرات الوفاء بأضلعي
ما مات نايبى أو ذوت ألحاني
وسماء شعري لا يزال سحابها
بالغيث يهمني فهو طوع بناني
ما خانت الأطيّار روضي لم يزل
ورد القصيد على غصون لساني

ما زال بحر الشعر عندي متخماً

بالدر، بالياقوت، بالمرجانِ

قيشارتي صدحت ولم تهرم وما

رحلت طيور الشعر عن أفناني

فالشعر في كل العصور شرارة

وسطوره كحجارة الصوانِ

وقصائد الشعراء نبراس الأولى

في الروح كالإنجيل والقرآنِ

ما زال قلبي في اللهب شغافه

وأرى الوتين على فم البركانِ

لا تسألوا عن حزن قلبي إنه

مستودع الآهات والأحزانِ

بغداد أحرقتها اللهب وإخوة

يتدفؤون على لظى النيرانِ

طالت يد التقسيم معظم أمتي
طعنت فلسطيني، رمت سوداني
بالأمس معتصماه لو دوّت هنا
لبى نداء الأسر معتصمانِ
واليوم خصيان العروبة جدهم
وأمرهم كسرى أنو شروانِ
ولغسل أدمغة الشعوب رأيتهم
سردوا الحديث ومعظم القرآنِ
وهزبر سوريا بدرعا زائر
ويصير فأراً في ذرى الجولانِ
حتّام تبقى في سبات أمتي
وبجوقة التضليل كالطرشانِ
وإلام نبقى في النهار تلفنا
ظلل الضباب وحاجبات دخانِ

وبلاه في اليمن السعيد مذابح

لطمت بني غازي يد الشيطانِ

شرق جديد خط بوش سطورهِ

ورواية من نص أميركانِ

وشعوبنا في كفهم مثل الدمى

ربطت لأجل الرقص بالخيطانِ

ومؤامرات والشعوب ضحية

وتمزق متعدد الألوانِ

الصمت في دين الكفاح خطيئة

ونفوز بالغفران في الميدانِ

يا أرض ميدي يا شعوب تمردي

ثوري بلا وجل على الطغيانِ

بشائر

(بشّرنا شاعر بما لا يأتي)

بماذا تبشر والدود يقات نسغ الغصون وماء الجذور؟

بماذا تبشر والغصن يمتد حبلاً لشق الطيور؟

بماذا تبشر إبداعنا في دهاليز كل مؤسسة ينتهك،

وحصن حضارتنا سيّدك؟

بماذا تبشر؟ ما عدت تعرف خصمك في المعترك

طغى الليل، والمارق الفاسق اشتدّ.. لفّ الحواكير

غطى الدروب.. تمطى.. حلك،

وفي كل جزء وقب،
وحال النضال انقلب،
فكيف سيترك أجسامنا كل هذا الجرب؟
غدا الرأس ذيلًا ونزعم
والرأس مستترًا بالذنب،
ويعصرنا الشك.. تغزو سمانا الريب.
وجوه العباد هنا باسرة
نخوض.. نخوض مع الخائضين،
وننظر ذات الشمال وذات اليمين،
ولا نستبين سوى خلب الغيم والسحب العاقرة،
وما في السماء برغم البوارق من غيمة ماطرة!
تجاوز سيل الكراهة فينا الزُّبى،
وغطّى الرُّبى،
وصار المسودُّ فينا لكع!

ألست ترى كيف شرّش فينا الجشع
ألست ترى كلمنا كيف نَزَّ الصديد وكيف اتسع
ألست ترى أننا نسبق الكائنات الدنيئة في الانقسام ولو في النزع
وفي كل يوم لنا رئة تنتزع
وأنا ننام بحضن الكوايس نصحو بذات الفزع
وأنا نقول: سنملي لهم. ونخاف سنا البرق إن ذات ليل سطع
صعدنا جبال التحدي، ولكن حبل النضال انقطع
فقمنا نقطّع أشلاءنا، ونعد التائم
قمنا نعوّذ أبناءنا الصيد من
شر حاسد أعدائنا إن حسد
تفرّخ فينا خداع النفوس،
وعادت إلى الدرب حرب البسوس،
وجهر التشفّي يحرق منا الجسد
فكيف تبشرنا بالبلد؟
وكيف تبشرنا بعد تلك النوازل والقارعات بذاك الولد؟

ومن أين تأتي المواسم والغيم ما زال جهماً،

ولم نحرق الأرض،

والدود يلتهم البذر،

والنهر غير مجراه؟

من أين تأتي المواسم والوعد أكذب ممن وعد،

ومن كحل العين أسكن فيها العمى والرمد؟

ألست ترى القدس في جيدها الحبل لكنه من مسد؟

ألست ترى زهر بستاننا بالنجيل اتحد،

وأن الجراح بدد،

وأن الأغاني بدد،

وأن القصائد تكتبها الغانيات نضالا،

وأنا نموت انفعالا ونحيا انفعالا،

وأنا نباري الهشيم اشتعالا؟

ألست ترى الثائرين من "بيار كاردان" يستوردون الملابس

والعطر.. يستوردون النعلا،

وفي المهرجانات نهتف حتى النخاع ليحيا الوطن؟
ألست ترانا نجهّز نعش الصمود؟
ألست ترانا اشترينا الكفن؟
ألست ترى المارقين على قمة الأمر والسارقين قضاة؟
ألست ترى الذنب يرعى القطيع،
ويلعن خبث الثعالب،
ويلعن خبث الققط؟
بماذا تبشر وسط الظلام الكثيف
وصوت الحقيقة يخنقه حبل هذا اللغظ،
وحابلنا اليوم للنابل أنشدّ ثم اختلط؟
ستسودّ أيامنا الرائعة،
ويسكن ليل العمى في محاجرنا الدامعة،
وتهلكنا وطأة القارعة.
سنغرق في الذل حتى الأنوف،
ونبقى ندق الدفوف،

ورغم الحسان على "الفاكس"

رغم بياناتنا الخادعة

ستبقى الكوابيس في فكرنا قابعة!

تعجبت، يا خلّ، كيف ستأتي الثمار

وما في الينابيع ماء،

ولا غيمة في السماء،

فمن أين تأتي الثمار

وأغصاننا في احتضار؟

ومن أين نرقب قافلة الانتصار

وقد نام كلّ يمّني العيال بوجه الدولار،

وهذا النظام الجديد ينوم فينا الكرامة

نحلم بالازدهار

يصير لكلّ الفئات المدار؟

مراكبنا أنزلت كل سارية والشرع،

وغاصت مجاذيفها في البحار،
وبوصلة الشعب لم تعرف الاتجاه
فضاع اليمين وضل اليسار،
وما عدت تلمح حتى الشعار بقلب الشعار.
تملّكنا الحلم والانتظار
أستبدّ بنا الحلم والانتظار.

بماذا تبشّر بعد الزفاف وبعد الوليمة
إلا بطفل الهزيمة!
حنانيك.. هذا المخاض قبيح،
ومولده البكر مسخ،
وسحته سوف تأتي دميمة.
ستكبر فاجعة الدرب
يزداد قطر دوائرها
فاستعد بالنضال الحقيقي من شرّ النزف،

ومن شر وحش الغسق.
سيمتد حتى سيحجب عنا الفلق
فكيف سنبعد عنا القلق؟
أحقا سيأتي أوان الولد؟
أحقا سيأتي أوان الشواهد فوق القبور
أوان انتهاء عناء الجسور أوان النسور،
وقد ساد فينا الصراع على ربطة العنق والأغنيات
فأنتى يكون لنا المنطلق؟!

سنبقى خيوط دخان
نحارب بالمهرجان وخرم الدنان
ونغتال.. نقتل.. نكذب..
نشق زهر الأمانى،
ونحلم أن يتغير وجه الزمان،
ولا من يزيد علينا نقود الرهان،

وما في السباق لنا من حصان.
سنبقى على هامش الأمر نحرق أطرافنا في مواقدهم
نستحيل رمادًا،
ويزداد ليل التداعي سوادًا،
ونار التناحر تزداد في الطرقات اتقادًا.
بماذا تبشر كنعان يحرق في شعلة المهرجان،
ونكتب في آخر الاحتراق حروف البيان،
ويرسل بعض الأشاوس للمتخمين التهاني!

عن الشعر والحبّ

لأن الطير ممنوع من التغريد
مشنوق على الأغصان
لأن براعم الليمون ضائعة،
وهام شذى الربيع العذب
في وطني بلا عنوان
لأن الطلّ قطرته محرّمة على الريحان،
وريح صرصر راحت

تمزق في دمي الإنسان،
وناي الشمس ما عادت
تردد أجمل الإحان،
وفوق شوارعني يتسكع الحمقى
يمد الرعب مخلبه ليكمل ميتة الغرقى،
وتلقى ظلها الأحزان،
وخبز الأرملات غداً
مشاعاً سائغاً نهباً
لذئب يقتل القطعان
لأن ملامح الأطفال باهتة،
وتفقد صورة الإنسان،
وطير الحرف مكلوماً
مهيضاً في سجون الموت والحمى
وتنتف ريشه حقداً
أكف تنابل السلطان.

لأن.. لأن يا وطني
تفجر في دمي بركان
وصارت أحرف الشعراء أسياًفاً
بوجه الظلم والطغيان.

وماذا بعد؟

أردد:

من دموع الأرض
من جرح الروابي
من أنين جبال،
وأعلن:
من تساقط أدمع الأطفال
من عرق الجباه السمر
فلاحين أو عمال
أجدد طاقتي أبداً،

ولن تتحوصل الأشعار في روعي،
ولن تذوى بها الآمال
بحيرة لوط تعرف إنني منها
خرجت وملحها سيصير من أجلي
سهاد شقائق النعمان.

وماذا بعد؟
من الإحزان
من عري التلال وآهة حرّى بصدر الأرض
تشهر كل أشعاري سيوف الرفض
فإني مفعم بالحب للإنسان
يا أعداء إنسانية الإنسان
إذا ما كان يحمل طابع الإنسان
أقلم بالمحبة أظفر الأحقاد
أخلع من ثرى قلبي،

ومن روعي جذور اليأس

فلا تهنوا

ستعلن هذه الدنيا انتصار الحب

غداً يتسلق الأشجار ضوء الشمس،

وتضحك للبنود القدس

فما جدوى قصائدنا

إذا لم تغدُ مثل حجارة الصوان.

وماذا بعد؟

إن الشعر قبلة تفجر قاطرات الليل،

ويغدو الشعر زنديقاً إذا لم يغز

كل زُبي طغاة العصر مثل السيل

يصير الشعر صنو الموت

أريحا يا يهوشع سوف توقف شمسها كرها

متى أومأت

هي الأشعار للأفكار صهوتها

صهوتهم،

ويغدو الشعر في حرب الطغاة

متى دعونه

جوادًا طيِّعًا يعدو بفارسه

يثير النقع في الميدان،

ولفظ الشعر يصبح مقلة

في أعين الإنسان.

وماذا بعد؟

مالك قبره ما زال يرقبنا،

وما زالت شوارعنا تطارد فوقها الجرذان،

وما زالت بحار الحب في أعماقها الحيتان.

أخي الإنسان

سيبقى الشعر قبلة وزهرة فل،

وفي خد الزهور يظل رغم القيظ قطرة طَل
لتعلو راية الإنسان
في أرض الكنانة في مدى بردى،
وفي اليمن السعيد،
وفي دروب المغرب العربي،
في لبنان والسودان
بظل كرامة الإنسان.

ولا بدّ أن نعبر المرحلة

تفاجئني هذه الأرض في كل حين،

وتسلب لبي،

وتذهل قلبي،

وتسبي العيون

فيفغرفاه البيان،

وتسكت صوت الكلام.

تفاجئني هذه الأرض
أم البدايات من قبل أن تبتي،
وأصل الحكايات من لحظة المولد
هي الأم للأرض قامت تهدد
للكون حتى ينام على الساعد.

تفاجئني هذه الأرض
تبدع في الروح لوحاتها،
وأشكالها
تغني على النهر مواها،
ويسألني القلب: أنى لها اللحن؟
أنى لها اللون؟
فيم لها ينحني الكون؟
كيف الزمان على أرضها البكر
أمضى طفولته والصبا،

وكيف مشى فوقها لاعبا؟
وكيف الحضارات قد رضعت نهدها؟
وكم فوقها الحسن غنى،
وأبدع لحنًا،
وكم من جوى بات يرعى السهى،
ويكتب أشعار حب عذابا
بها كم تغنت دهورٌ،
وكم في مداها زمان لها
فوق شم الجبال،
وفوق الشطوط وفوق الربا
على صدرها الرحب
قام يقلدها عبر كل العصور وسامًا،
وكيف التراث يلون فيها الترابا
يرصع جدرانها بنجوم الحضارات
يكتب في شارع المجد عنوانها،

ويمشي الهوينى يدندن في رقّة
ميجنا أو عتابا،
وفي كل مرحلة بيديه
يجدد فيها الشبابا
كأن التواريخ طفل
يلون لوحاته من ثراها
يضيء حواكيره من سماها،
ويرسم وجه فلسطين في جولة مقبلة،
ويرسم حقلاً ومنجل،
وترنيمة الشمس للسنبلة،
وطفل بعينه نور التحدي
يعانق كراسه والدواة،
ويضحك للمنقلة،
وفي مهجتي تبدأ الأسئلة:
ترى هل ستترك يوماً

بيادرنا صدرها الرحب للقنبلة؟

أجابت شفاه النخيل: محال

وقال قرنطل مليون كلاً

ففي الروح درع يصد السهام،

ونور يقد الظلام،

وما استلت الأرض سيفاً كهاما

سنحيي التراث،

وتشرق شمس المحبة

ساطعة وتقذ الغمام،

ولن يسلبوا من خطانا الخطي،

ولن يسلبوا من بلادي هديل الحمام،

وشدو القطا

أنا طائر الرعد والوعد

لي كل يوم مخاض،

وفي كل مرحلة قابلة،

وصوت التراث ونزف الفدائي
يبقى صدى صوت روح تتزّ،
وماء من الصخر قام ينز
ليغسل وجه الحياة،
ويحيي نفوس الأباة
حناجر قامت تردد لحن الصمود،
وترفض لحن الرجوع الأخير،
وقامت أياد تزيل القذى
عن عيون فلسطين
تبع عنها الرماد الذي ذر عبر سنين الشقاق،
وتزرع في الأفق شمس الوفاق
ليسطع فيها الشروق
تزيل الزجاج وشوك الطريق،
وتنهض بعد العثار،
ويخرجها الله من كل ضيق.

قراءةُ الع

(ولد في مستشفى في الخليل خمسون طفلاً في ليلة واحدة أثناء الانتفاضة)

تقول النجوم لمولود برج الحمل:
طريقك بالشوك مفروشة والزجاج،
وتمتد من جانبيها أياد لتطفئ
نور السراج،
ولكن من جد رغم الصعاب،
ومن سار مستهزئاً بالطريق وصل.

تقول النجوم لأبناء هذا الوطن:

ستبقون حقل التجارب

في الدرب تلقون كل صنوف المحن،

وتبقى على شرفات المآقي الدموع السخينات

تبقى على الوجنات خطوط الشجن

تداعى عليكم ذئاب الأمم

تظلون مثل الخطيئة يهرب منها الأقارب

ينكرها الأهل

تشحذ كل السكاكين في موسم النحر

هذا يعد اللحود وهذا يعد الكفن،

ولكنكم كالنسور تظلون فوق القمم،

وكالحب ذي العصف

كالشمس ممهورة بالضياء،

وكالوشم يطبع خد الزمن،

ولا تنتهون برغم الذي سوف يأتي،

ولا ترجعون عن الدرب
مهما يكون الثمن.

تقول النجوم
بدفء الأمومة للطفل في "الكوفلية"
لكل المواليد من كل برج
لمولودة الجدي
للحوت، للثور، للقوس:
تهبط في عتمة الليل بعض النجوم
الثريا تدلت تناغي صغار الخليل
تهز الأسرة حيناً،
وحيناً تهدد أطفالها،
وتسمع صرخاتهم (كالتحدي)،
وتخصب فيهم بذور الرجولة قبل الأوان،

وتطبع وشم الحياة على صفحات الزنود الطرية

تصرخ للموت: لا

للضعينة لا.. للحياة نعم.

تقول النجوم:

تزول الهموم وينحدر الليل

يفرك فجر التحرر عينيه حالاً

يزيل القذى عن مآقيه

يجتاز بحر السماء،

ويختال في مركبات الضياء.

تقول النجوم:

تبدّل سيارة الكون ركاها

تلفظ الأرض أشواكها،
والبحار ستر كل كل الغناء إلى الشط
حتى الغيوم تبدل ذات شتاء جواز السفر
تغيّر حتى مكان الإقامة،
والصيف يحمل عمّا قريب حقائبه،
ويسافر.. يلغي بمصيفه الحجز
يخلي المكان لتشغله ذات يوم غمامة
تعود الطيور ومهما تغيّر أعشاشها،
والطفولة تسترجع الدفء.. تسترجع الضحك
يسترجع الطفل لون البراءة.. لون النقاء
هو الشعب في آخر الأمر باق
هو الحي لا يأخذ الشعب نوم ولا سنة
للشعوب الأبية دومًا قيامة،
وتشتد فوق المحارث كل الأصابع
تروي الدماء الحقول،

وقد ترتوي بالعرق،
ويبتسم الموسم الخصب في آخر الأمر
في آخر الليل يبسم وجه الغسق.

تقول النجوم لكل المواليد
في جبل النار في القدس
فوق جبال الخليل وفي الغور:
إن السواقي ستبقى تردد شدو الخريز،
وأن الأزاهير تبقى تردد في مركبات الصباح العبير
ستبقى الحياة وتهوي عروش الطغاة،
وترفع الشمس تطبع قبلاتها فوق كل الجبابة،
ويعلو خريز المياه
تجوب المدى سقسقات العصافير
تعبق كل الأزاهر

يمضي العبير يوزع في كل درب شذاه،
ويعلو النشيد الجماعي
من بين كل الشفاه
هو المجد لله يا إخوتي في علاه
لمن يعشقون الحياة،
وفي الأرض مجدٌ لمن يعشقون الحياة.

هدر .. هدر

هدراً.. هدر

ضاعت دماؤك يا حجر

باعوك يا طفل الحجارة في مزاد المؤتمر،

وشروك يا حجر النضال بأبخس الأثمان

في سوق النخاسة خسة

فلتعذر الشيخ التقى إذا كفر

سلكوا بنا نهج الغرر

كان اللهيب نضالنا
فترأى غيبتهم وهمت مطر،
وصدقت يا أحمد مطر،
والقوس من يدنا انكسر،
وتناثرت أشلاؤنا،
وتبعثرت منّا الفكر،
ولكم هزئنا بالعناء،
وكم تحدينا الخطر،
ولكم كتبنا في سجلات البطولة
بالدماء ملاحم ازدانت بها
كتب السير،
ولكم تحدينا العدو بمهجة
إيمانها نار وجمهر،
وكم انتظرنا صبحنا،
وقوافل الفجر المضيء

على شواطئ الأفق الأغر،
ولكم رسمنا في الخيال لأرضنا
أبهى الصور
لكنهم خانوك يا وطن العطاء
فضاع لحنك والأغاني والوتر
قلبوا لكل دمائنا
لدم الشهيد وآه ثكلانا،
وجرح ترابنا
ظهر المجنّ بلا حذر
كم كنت تهفو سامقاً
للشم ترنو والذرى
لكنهم عشقوا الحفر
غنيت من زمن على ليلاك
لكن القبيلة زوجتها
للذي فقد البصيرة والبصر

فدع البكاء على الطلل،
ودع القصيدة والوتر
باعوك يا طفل الحجارة
في مزاد المؤتمر
باعوك من أجل السلام المسخ
فارتقب المسيح المنتظر
لا تصغ للدجال،
وارتقب المسيح المنتظر
أتراك لم تبصر بسحته العور
يا خائناً آه الشكالى
قلب شعبي ما غفر،
والأرض صاحت: ألف كلاً
لا وزر.

تعريف بدون (أل) التعريف

في دربنا الطويل تحزن الإحزان

تنفطر القلوب آهة

تنصدع الضلوع،

وتدمع الدموع

يتوق للمياه جدول

يجوع جوع،

وفي طريقنا مشانق ابتسام،

والشوك يملأ الدروب،
والزجاج في دروبنا يموج،
وفي شوارع الهوى
تناثرت مقاصل الأحلام
دروب حزننا يخنقها الزحام،
وفي أزقة الصدور نار زفرة
تعارك الأنفاس،
وفي شوارع العيون ترتقي
أرصفتها انتظار
الحب والربيع والزهور،
وابتسامة الأطفال
داسهم قطار،
ونحن بانتظار
"جودو" وطائر الرعود مرة،
ومرة ميعاد نشرة الأخبار

نطارذ الرغيف

لكنلأ الشتلء ءائئأ عطفة الءرف

الموت فف الءفة وائلظار بارق الأمل

صارا مع الزمان عاءة

فورئها الكبار للصغار

كالملول

كاللءفة الصفرء

كالإفظار

لأننا ملأصرون بالملهرءفن

بالمزففن بالسفالففن

بالساءة الكبار

لأننا قافلة الجمال فقولءها الءمار

لأننا فقللنا اللزفف واللءرفف؁

ومن مفا فكرنا نصاب بالزءار

ملأصرون بالأطفال والصباح والأشعار؁

والآخرون دائماً هم الجحيم
لكنني أحب ذلك الجحيم
لأنه كالصيف ينضج الثمار.

لا بد للفراش من هنيهة بظلمة الشرائق
لا بد قبل أن يخبثنا الربيع
من فترة السكون للعصارة
تثيرني مراكز التفتيش
يهزني وداع أم لابنها الذي تشده الخنادق،
وأشمئز من نتانة الأحقاد والحروب والحرائق
تثيرني السجون والقيود والمشائخ
لذا من المحال يا أخي أن أتقن السكوت
من المحال أن أجيد لعبة الصنم
لأنني بموت أحرفي أموت

لا بد أن أكون رغم نارهم

عنقاء أمتي

تعيدني إلى تألقي الحمم

لا بد أن نصوغ بذرة الحياة من عدم

لا بد نكون سرورة تواجه الرياح

من غمده لا بدّ نجرد القلم.

بطاقة عيد (1)

يا إسماعيل الطفل لك الأعياد
لك الأضحى،
وسأكتب بالعامية والفصحى
من أجلك كانت زمزم
من أجلك كان السعي،
وكان الهدى،
ولذكري افعل ما تؤمر أبتاه

من أسلم لله الواحد

هلّل

كبّر

لبّى

أحرم

بيت الله سيّقى

لن يهدمه أبرهة الأشرم

ولأجلك يا إسماعيل فلسطين

جميع الشعب تلثم

كنا نرميهم بحجارة سجيل

كنا كطيور أبابيل

لن تحرم فرحة أعيادك،

والشجر الناعم لا بدّ سيتبسّم

ننزف جرحاً جرحاً

نصنع منها أفقاً ألقا

ينجب صباحا
مهما الليل الحالك أظلم
فلك الأضحى،
ولك الشعب سيزرع فرحا
وسواعدنا تبذر أرضا
تنبت عشر سنابل تعلوا،
ومناجلنا تحصد قمحا.

بطاقة عيد (2)

يا أبا الأنبياء
من أعالي السماء
جاء كبش الفداء
ثم دار الزمان
بعد تيه بسيناء جاء
من رأوا في المنام
أننا ذبحهم مثلما قتلوا الأنبياء

إنما لن نقول:

افعلوا كل ما تأمرون

دمّنا لا يهون

أرضنا لا تهون

لن نكون

منهم

لن نكون طير سلوى لهم

لحمنا علقم

لن نكون الذبيح

يا أبا الأنبياء.

ناضلْ

في البدء كان الطفل والمقلع والحجر المقدس والمدينة
تكسر الأغلال تهزأ بالسلاسل.
في البدء كنا نبصر الأشياء، أو كنا نحاول
واليوم صرنا نعصب العينين،
أو نعمي المآقي بالمكاحل.
أواه يا وطنًا على الأوراق أين نضالك العملاق
يا جمل المحامل.

ويلاه أدمت جبهة الأقصى سكاكين السياسة

أصبحت أحلامنا نهباً لأحلام القبائل.

في البدء كنا بانتفاضتنا نقاتل

حجر من الوديان للمقلاع،

والمقلاع من شعر الجدائل،

واليوم تختلف المسائل

هل غيرت أنهارنا المجرى،

وأنكرت الروافد؟

أم ترى تاهت عن الدرب القوافل؟

عفت الديار محلّها

عفت الديار مقامها،

وتغيرت صور المنازل.

لأياً عرفت الدار بعد توهم

أم كنت تعرف أنها ستصير أطلالاً لمقتول وقاتل؟

فمتى سنبصر هجمة الطوفان؟

كيف ستّقي خطر الزلازل.

قالت حذام فلم يصدقها غفاة القوم

لم نسمع لقائل.

عجباً لزرقاء اليهامة صوتها هدرًا يضيع

تقول إياكم وخضراء الدمن،

وتصيح إياكم وأزهار نمت فوق المزابيل

يا صانع التحرير بالحجر المقدس لا تجامل

ناضل وناضل.

الليل داج حالك،

ومزاعم الفلكي تنبؤنا بأن البدر كامل.

جفت جداولنا

وجف الزرع

جف الضرع،

والعرّاف يقسم أن غيث المزن هامل.

الليل لف الدرب والطرقات واحتل المخارج والمداخل،

والريح مقصلة الحقائق صار خد الورد ذابل
يا صانع التحرير بالحجر المقدس لا تجامل
حتى ولو نصبوا لثورتك المقاصل
حاور بفكرك لا تخف
واجه، تحدّى الريح إعصارًا وجادل
أنت الوريث لجند أمتنا البواسل
فعلام تبحث في دهاeliz الوزارة عن وظيفة،
وعلام ترضى أن تصير اليوم جيفة؟
أتراك ترضى أن تكون عن النضال الحر عاطل
لتكون في إحدى دوائرهم مراسل؟
فجّر نضالك في المدارس
في الشوارع
في المكاتب
في الدفاتر
في المعاول

لا تمش كالحمل الوديع،
وكالحصى يغفو بأحضان الجداول.
بالوعي نبني دولة الشرفاء بالفكر المناضل
بالوعي في كل المراحل
لا تنخدع بحماسة الشعراء أو بحماسة الخطباء،
واقترح البدائل
أسرج خيولك
تصدأ الأسياف في أغمارها
وانهض ولا تشك الزمان،
ولا تكن عبد المراكز والفصائل.
أوهى البيوت أخي بيوت العنكبوت
هيهات تخفي عرينا أوراق توت
لا تخف رأسك في الرغام كما النعام،
ولا تكن عبداً لقوت.
يا ابن النضال الحرّ

لا تعرض زهور الفكر للتجار في سوق النخاسة
فالأمر يبدو بيتاً بين السياسة والτίαςة.

امسح سراج الفكر

لا تترك رياح اليأس تطفئ في مسيرتك المشاعل

دع عنك ميراث القبائل

دع ثرات الانتماء الهش

دع لغة البيانات الهزيلة

جدد نضالك

دس على القيم المهازل

في كل مرحلة نضال ليس ينضب، قم فناضل

لا تلعن الليل المكبل فجرنا

قم كسر الأغلال عنه والسلاسل

"فحبوب سنبله تجفّ ستملاً الوادي سنابل".

مَنْ قال أن ندع النظام العالمي يشلنا،

ويزيد من هُرويننا،

ويزيد في أوصالنا ألم المفاصل؟

الغرب شاء بأن يراك مهدهمًا،

والكل قد أضحى مقال.

زيتوننا أستاذنا

إن يقطعوا غصنًا فحول الساق آلاف الفسائل.

امسح قذى العينين

جدد زيت قنديل النضال، وقُدْ جواد الفجر

خذ بيديك ألوية المسيرة، لا تجامل.

الخصم خدّاع يماطل،

والقدس تدمي قلبها الحشرات

فالأقصى حزين دامع العينين

أروقة القيامة جرحها يدمي،

وكل دروبنا طرقات آلام،

وتاج الشوك فوق جبيننا،

والخلل في فمنا

فلا تسترحم السجنان أرضك تستباح
يتاجرون بحرمة الأوطان في كل المحافل.
امسح قذى العينين،
وارفض فكرة الترويض كي لا تُمتطى
فالدرب ما زلنا على أولى خطاه فكيف نبدأ بالتثاقل؟!
أسرج خيولك سيلهم بلغ الزُّبى
في كل مرحلة نضال ليس ينضب
قم فناضل.

وتولد الطغيان

(إلى فاروق جويدة وقصيدته "عتاب الأحباب")

الجالسون على العروش توحدوا

من غير أرحام ولا أنسابٍ

الخوف ألف بين رعب قلوبهم

فتسلحوا بمخالب وبنابٍ

داسوا جباه شعوبهم بنعالهم

زعموا لقطع مفاصل الإرهابِ

سحقوا بدباباتهم مَنْ قاوموا

خلطوا التراب بأذرع ورقابِ

وتفننوا فتكاً وتنكيلاً وما

رحموا الزروع وبسمة الأعشابِ

لم تسلم الصحراء من دبابه

قصفت مدافعهم صدور هضابِ

نهبوا الشعوب لأجل ذريّاتهم

من أجل غانية وكأس شرابِ

لتزيد أرصدة البنوك وثروة

لموامس انتسبوا ودور قحابِ

صعقوا وقد رأوا الشعوب تنبّهت

للعوي عادت بعد طول غيابِ

ظنوا الشعوب مهیضة وكسيحة

فإذا بها في الجو سرب عقابِ

فتهددوا وتوعدوا وتربصوا

غابت مداركهم وكل صوابِ

وتربَعوا فوق العروش تَلذُّذوا

وتبجحوا بتعدد الألقابِ

الشعب في عُرْف الطغاة مُضَلَّلٌ

والثائرون سواعد الأعرابِ

ومخدرون وسائرون بلا هدى

كزواحف انتشروا كسرب ذبابِ

رموا الأباة بدائهم وتسلَّلوا

كم شبهوا الثوار بالأذنانِ

يا جالسين على العروش تنبهوا

حمم الشعوب غدت على الأعتابِ

نيرون مات وكل طاغية هوى

والشعب يعلو فوق كل مصابِ

تمضي الشعوب إلى نهاية زحفها

بالموت ساخرة ومرّ عذابِ

لن تفلتوا فالشعب يحسم أمره

ويخط ملحمة بكل كتاب

لسنا بغاث الطير إن سماءكم

ملئى بنسر ثائر وعقاب

وسفائن الشوار تمخر بحركم

هزئت بعاتي موجكم وعباب

والشمس من أفق التحرر أشرق

بضياؤها ستفل كل ضباب

لسنا كلاباً كي نخاف ذئابكم

الشعب ليث زائر في الغاب

فلسطين لا تموت

وفيك فلسطين في كل ثانية ثورة تولد،

ومن رحم الصخر

في كل ثانية زهرة تولد،

وشوك على طلعتها يعقد،

وفيك فلسطين أمنية بعناق الشروق،

ودحر الظلام عن اللوز والبطم

والمريمية والخبوخ واللوز

والتين والزيتون
تنمو برغم عجاف السنين،
ورغم الأنين بحنجرة الياسمين،
ورغم نزيف الدوالي،
 وآهة زيتونة بتروا ساقها
يولد الحلم.. تولد أمنية في الأقاحي،
ومن رحم الأمس يولد فينا الغد.
هنا الشمس تشرق أكثر ضوءاً
هنا الطفل يولد أستاذ ملحمة للنضال،
وأنفاس ورد فلسطين
أكثر من كل ورد شذى،
ويعبق أكثر عبر المدى،
ويهزأ أطفالها بالردى،
ففي هذه الأرض كانت
مباركة الله للعالمين،

وأودعت الشمس أسرارها،
وفي تربها ينبت العسجد،
وكل التّقاء على أرضها تسجد،
مع النصر مهما الطغاة تمادوا لها موعد.

فأج دروب المدينة الميَّنة

في دروبي يقطن الموت بساحات البيوت،
والذبابات تصيد العنكبوت،
وعبيد اليأس
يغمدون الليل في صدر النهار،
والدوار
رئة أخرى بصدر العابرين.

في دروبي يصبح الإيمان أفكارًا دخيلة،

وشيوخ النار جيلة

صفعوا بالنرد وجه النابحين

في ليالي ودهاليز القضية،

وكبير الواعظين

يرسل الآيات في وصف الجحيم

وعقاب المارقين

عن تعاليم أولي الأمر

ومن ناجز بالسيف أمير المؤمنين

فإذا مات النهار

ارتقى في حضن بار

بين أحضان خليلة.

في طريقي يلهث الحسون والغربان تشدو،

والذئاب

تحرس القطعان من فتك الرعاة،

والشفاه

جف فيها الحرف والحرف تدلى

يلفظ الروح على حبل البغاة.

في ليالينا الحزينة

يحضن الملهى مئات الغانيات

يولد الخوف وأمثال قديمة

"كفك الغضة لا تنطح مخرز"

واطلب الستر من الرب القدير.

والنهار

ثائر خانوه في حانات غوث اللاجئين

وادّعاء المدعين.

في دروبى ينتن الأحياء،
والموتى يقيمون مساء
حفلى تأبين لأصحاب النياشين الكبار،
وترى الميت ينعم حامله
غير أنى يا رفاقي
سوف أحيأ
رغم تمزيق عروقي واحتراق الخفقات
والليالي الموحشات
فالطيور
طبعها الهجرة دومًا والبكور،
وجموع النحل ترنو للزهور
دائمًا ترقب ميلاد الربيع،
والنجوم
ترقب البدر وإن طال الأفول
سوف أحيأ.. سوف أشدو..

لن أمل الأغنيات
سأضم الناي في شوق وأشدو للحياة
في ضلوعي
مرجل يغلي وبركان يثور
إنها من حلقة الظُّلماء نور.

خمسون زنبق علاج باب الخليل

قمر على باب المدينة أحمر الوجنات
حدّث جامع البكاء عن حزن الدوالي،
وماذن انطلقت تؤذن لانبلاج الفجر:
"حيّ على الصلاة"،

وسجّد لله صاحوا: يا محمد
قتّلونا رگعا فانصر خزاعة
لم يعد صلح الحديبية الطريق إلى المعالي

يا سيد الأحرار بوّئنا المقاعد للقتال

قم يا محمّد

إن ناشئة السلام أشد وطئاً من هموم الاحتلال

السل يسري في الصدور يشلنا ليل السعال.

قم يا خليل الله باسمك يسحقون زنايق الفجر المضيء،

ويزرعون الفجر رعباً باسم ربك ذي الجلال

خمسون زنبقة تباركنا،

وبعض شقائق النعمان

تخضع باسم أمن المعتدي للاعتقال،

فترصعي بالفجر أوسمة على صدر النضال

دمهم يطهرنا من السلم المدنس وانبطاحات السحالي

ما زال مؤسانا يكلم ربه

يتناول الألواح من مدريد من أوصلو،

وصوت السامري يضلل الجهّال بالعجل السلام، وبعضنا

ما زال مبهوراً يمارس في مكاتبه طقوس الابتهاال.

هارون يعلن عجزه

ويؤتّب الضالين باسم المجلس الضالّي

باسم المجلس الثوريّ

أو جمعية الأمم الذليلة.

كيف لا نأخذ بلحيته وهذا السيل قد بلغ الزبي

بلغت صفاقة أمّتي حتى الكمال.

مَن سوف ينسف عجلهم؟

من يوقف الأشواك عن غزو المداخل والمخارج؟

من سيحرث أرضنا المعطاء غير عجوها؟

أونستكين إلى البغال؟

من يا شهيد ترابنا

سيضيء باسمك شمعة الإيمان في ليل الضلال؟

كنعان كنّا في مدى الأوطان جبارين

ما دخلوا ونحن نعانق الزيتون

نركن للأسنة والعوالي

لكنهم عادوا براحاب البغي سلامهم
هل أوقفوا شمس التحدي في أريحا في الزوال؟
لا يا يهوشع...

شمسنا ستظل تستطع في سماء الغور
ترسل قبلة للقدس، للزيتون في كل الجبال.
مكروا بهذا الشعب في ليل الوفود
ليثبتوه

ويخرجوه

ويقتلوه

ولم يزل في الشعب محصورًا،
ويقصف في ظلام الليل صاروخًا،
وما زال السلام ذخيرة لبنادق المستوطنين،
ولم يزل حشو البنادق في قتال.
قم يا خليل الله قد سرقوا البراءة باسم دينك
شوهوا وجه الطفولة،

واستباحوا عرض داليتي وطهر البرتقال.

قم يا خليل الله هل أسكتتهم قيطون؟

وهل دمننا شراب سائع؟

إني أكاد أجن من وجع السؤال.

قل يا كريم الله هل جاوزت بالمستضعفين البحر؟

كي نبقي لهم منّا وسلوى؟

هل جئت يا موسى بالواح الوصايا العشر؟

تهتف: لا تناطح مخزّاً بيديك يا كنعان

كن بالأسر ملهوفاً على رزق العيال.

خمسون كبشاً يا خليل الله هل كانوا فداء

يفتدي المستوطنين من السماء

لهجرة العهد الجديد،

وهل تأوهنا مزامير الصلاة؟

تموج في العقل الهداية في الضلال.

خمسون مصلوباً على حرم الخيل

وكل أرضي أصبحت في الأسر جليجلة،
وحارات الخليل طريق آلام،
وتاج الشوق فوق رؤوسنا،
والخلُّ في فمنا على سمع الليالي.
ما زال يا حمقى يهوذا قابعًا في كل زاوية
لتكتمل النواميس اللعينة في عهود الاغتيال
قد أنكرونا قبل ديك الفجر يا عيسى
وباسم دمائنا كرزوا.. بنوا
في حضن أمريكا معابدهم،
وكنا في صلاة العهر قربانًا لمحراب النظام العالمي
وأرضنا تحت النعال،
وشقائق النعمان تُسحق
ثم تصبح في بلاط السادة النبلاء أوراق اعتماد.
يا سفارات التذلل.. أن أذل من المحال
لا تسأل السياف، قالوا: نم ودعه

يتل رأسك للجبين فلست بعد ستفتدى
أنت الفداء

أتيت من أفق العروبة كي تكون ضحية للارتجال.

باعوك إخوتك الأباة بأبخس الأثمان

يوسف أيها الصديق ضيعك الأعبة.. أفتنا

سنواتنا الستون ما زالت عجافاً،

والسنابل يابسات

صار هذا الهم فوق الاحتمال.

يا آدم الملقى إلى كريات أربع

هل تلقى من زعامتنا وأمريكا كلاماً

كي يتاب عليك من دمنا

ومن جسد الخليلي المحرم؟

هل زعامتنا نعومات وتخفي رأسها بين الرمال؟

كم صاح عز الدين: يا عنب الخليل المر لا تثمر،

وإن أثمرت كن سماً على الباغي

فلم تجب الدوالي .
يا أيها الشعب استفق
ما زلت قرباناً وفي جنبك آثار النصال .
يا أيها الجسد الفلسطيني
في جنبك أورام من الداء العضال
امسح قذى العينين
ما زلنا نقاتل في الخيال بلا خيال !
خمسون مجزرة، فيا أرض النضال تفجري غضباً
وميدي فوق أقدام الأذلة
أرسلي حمماً أيا قمم الجبال .
فتحوا على العباد رشاشاتهم فتفتحي
يا أعين الشعب المضلل وامسحي كل القذى،
ولتفتحي يا قدسنا للشمس نافذة لآفاق التحرر،
واملئي تلك الكنانة بالنبال .

بلا جدوى

بلا جدوى
قيودك والسجون،
ونسف منزلنا،
ونزع الخبز من أفواه أطفالنا
وتشريدي،
ولص قميصي البالي،
وحرمانى من المأوى

أظّل أقولها.. أنفًا بلا وجل
بلا جدوى.

بلا جدوى
كوابيس العذاب تظل ترسمها
بأجفاني،
وآثار السياط تظل تتركها
على ظهري
ذراعٌ وكف سجاني.

بلا جدوى
اغتصاب غلال زيتوني،
وشنق الورد في أنحاء بستاني،

وشجّ جبين كرمي
وانتهاك حياض ليموني،
وحرمان من الإنشاد
أو إعدام أغنيتي،
ورفع أصابع انغمست
بدم أخي.. بوجه أبي،
وتهديدي بتشريدي،
وتجديد الإداري أشهراً أخرى
تظل تثير إشفاعي وسخريتي،
وترسم بسمّة الآمال
مشرقة على شفتي
فأنت سجين أو هام
بأرض الوعد والميعاد.. أرض الشّهد واللّبن،
وشعب دونها وطن
لأرض ما لها أولاد،

وأسمع طفلي: ثورة
بلغتها تقول لكم
بلا جدوى.

* * *

بلا جدوى
يظل النفي والإبعاد
أو إغلاق مدرستي وتغريمي،
ورفض زيارة الأحباب في الأعياد
فإن الفأس حين تشج وجه الأرض تخصبها
لتصبح جنة خضراء يانعة،
وقد كانت
غثاءً صفصفاً أحوى.
أقول لكم بلا وجل:
معاناتي ستمحو عار ماساتي،

وأرضي البكر إن عطشت
أزويها بأنهار الجراحات
فتعقب زهرة الآتي.
بلا وجل أرددها:
سجونك أفق شم غدي،
وقيدك وشم أحرار
برسغ يدي،
وصوت الحق لا يخبو،
وزند الحق يبقى دائماً أقوى
يسمد شتل خطواتي
إذا ما ضممني سجن
إذا ما ضممني مثنى
فصوتي دائماً سيظل كابوساً
يقض مضاجع الغرباء
يعلمها مجلجلة: أنا الأقوى،

ولن يجد الغزاة المنّ والسلوى
على أرضي،
ولا ظلاً ولا مأوى
وجدي قال لي يوماً:
يطير التبن.. يا ولدي،
ويبقى الحب من تحريك مذراقي
فأنت النهر تدفع عندما تجري
غشاءً في المدى أحوى.
أقول لكم فعوا قولي:
سياستكم وقسوتكم بلا جدوى
أنا الأقوى.. أنا الأقوى.

ملل

آه يا إخوة روحي
كم مللت الأغنيات،
والإذاعات وآفات الصحافة،
وهدير الشتم والقذف،
وأصدقاء التحدي
والسباب،
مثلما تنبح في الليل الكلاب

كلهم يزعم .. كلّ يدعي

أنه الحق المبين

أن حزباً أو فصيلاً هو فيه

ديمة

مزن السحاب

سوف تحيي أرضنا؛ الأرض اليباب

تصلح الأرض الخراب.

آه يا جوف الرجال

لم يزل (إليوت) يرثيكم

وتعويكم ذئاب.

آه يا شعباً مشى خلف الغراب

كل من يدعون أن تحيا العروبة

هم أساطين العمالة.

رنة المهباش غصتني،

وهات البندقية،

وشعارات يقيء اللحن منها.
صرت يا شعبي قطع من شياه،
والرعاة
بين مملوك يسمى ملكاً،
ورئيس هو أدنى من خسيس
حوله الجيش الخميس
كقطع من شياه
هتفت: عاش الزعيم،
وعلى مائدة الملك المملوك كانت
مثل أفواج الذباب.
أتخمني الأغنيات،
وأناشيد الحماس
دائمًا ترفع في الأفق تسكينا
بنود الانتكاس،
ووعود المجلس الثوري

في كل انقلاب
بنهارات انطلاق.
عجباً نسمع منهم وعجاب،
وفلسطين التي ترزح تحت الاحتلال
ألف وعد وعدوها أن ترى
فجر تحرير وعودة،
وانقشاع للضباب،
وهم سبعين انقلاب وربيع عربي
دك روحي وفؤادي،
وأحاط القدس والمهد
بشذاذ ومحتلين
بالآهات تترى وخراب
كل ما صاغوه من سبعين عام
صار شوگا في جيبني،
وبعينيّ عشا الليل وأقذاء جفون وتراب،

وحبالى ثورات العرب
من سبعين عام
أنجبت في المهدي زنديقا
وفي الأقصى بغيا
وحريقا إنما دون انسحاب
لا من القدس، ولا الضفة،
والجولان ظلت
من قوى البغي تهاب.
إنه الحلم السراب
آه يا شعب الأهاليج العريقة
ورصاصات الأغاني
وسلاح الجو والبحر أغان
وقصائد
آه يكفيك اجترارا
لتواريخ غريقة

حجر المقلاع أقوى

من صواريخ دمی فی ثكنات عربية،
ولذا أجهضتموه وتآمرتم بمدرید علیه
وبأوسلو.

لن يشق النهر موسى بعصاه
لا، ولن يأتي جبریل إليكم
فيقاتل

بينما أنتم قعود،
وعبيد لليهود،
ومصلّون لعجل الوهم
أو جمع غفاة.

هل ترى تحلم أن يأتي خالد
وعلى يمينه سيف
ضربة منه تدك المدفعية؟
أم ترى تأمل

أن ترجع أرض القدس
والمهد وآلاف المعابد
بابتهالات تعود،
وبقايا عصبية ووعود؟
أم ترى المهدي قاب القوس من أرض الجدود
وثياب سندسية؟
سأغني مثل أبيات الطلاسم:
لست أدري...
هل ترى ألقاك يا شعبي يومًا
تحفر اللحد لأوهام وقبرًا للخرافة
وتقاليد القبيلة
وصحافات السخافة
تسكن الشمس بأفاق جديدة؟
هل ترى ألقاك شعبي
تغرس الحاضر نصرًا

وتواريخ جديدة
وبطولات جديدة؟
هل ترى تخلق يا شعب النعيق
خالدًا من أرض يافا
وصلاح الدين سلطانًا لحطين جديدة؟
أترى تستنسخي يا أرض يومًا
عين جالوت جديدة
وبقرب السور، سور القدس،
هل يولد سعد القادسية
سيفه الرشاش والرمح
أوار المدفعية؟
هل ترى يبعث يا شعبي
بأثواب انتصار
بعد أثواب بلاها
في دروب الذل طول الانكسار؟

أم ترى أدمنت تعتيق الأمانى؟
أم ترى يشجيك صوت الاجترار؟
يا محار الوطن المحتل
فيك اللؤلؤ المكنون
والرمل بما حولك من عرب المحار
وحدك العملاق والربان فامخر
لا تخف موجًا
ولا تخش البحار.

الفهرست

7	مع خالص الشكر
12	بيان
21	فلسطين
33	قبل ابتداء الصليل
51	للحلم مضاًؤه
58	على الأطلال
65	العنف يزيدنا عنفواناً
71	قال جدي
75	الدمى
79	بشائر
88	عن الشعر والحب
95	ولا بد أن نعبر المرحلة
101	قراءة طالع
108	هدر.. هدر

112	تعريف بدون (أل) التعريف
117	بطاقة عيد (1)
120	بطاقة عيد (2)
122	ناضل
130	وتوحد الطغيان
134	فلسطين لا تموت
137	في دروب المدينة الميتة
142	خمسون زنبقة على باب الخليل
150	بلا جدوى
156	ملل

صدر للشاعر

- 1- أحبك حتى الهزيع الأخير. دار العامل، 1981.
- 2- تواقع على دفاتر الأطفال. اتحاد الكتاب الفلسطينيين، 1991.
- 3- قمر على شبا كنا. اتحاد الكتاب الفلسطينيين، 1999.
- 4- نفحات قلب. دار الجندي للطباعة والنشر، 2011.
- 5- قصائد مطاردة. دار الجندي للطباعة والنشر، 2012.

